جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة : الرابعة

المادة: تاريخ البلاد العربية المعاصر

عنوان المحاضرة : نشاة الحركة القومية العربية

أسم التدريسي : ا.م د. رؤى جمال خضر

الإيميل الجامعي للتدريسي : ruaa.j.k@tu.edu.iq

نشاة الحركة القومية العربية

شهد الوطن العربي منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر. حركات تجديدية ذوات طابع ديني عدها المؤرخون ردود فعل على سيطرة العثمانيين، واحتجاجاً على عجزهم وفسادهم واستغلالهم من جهة وضد التغلغل الأستعماري الأوربي في الولايات العربية من جهة أخرى ، ولعل من أبرز هذه الحركات الوهابية في الجزيرة العربية ، والسنوسية في ليبيا. والمهدية في السودان ، ولقد أتضح الطابع الوطني والقومي لهذه. الحركات من خلال أهدافها ومرتكزاتها الأساسية التي أكدت أهمية العودة إلى الأسلام في صورته الأولى وطهارته ونقائه ووحدانيته وتخليصه من الشوائب التي علقت به نتيجة " عهود التدهور والاستغلال . وتكاد هذه الحركات تتشابه فيما بينها وخاصة في ارتكازها على أسس رئيسية أبرزها : التوحيد والأجتهاد والجهاد . فبالنسبة للتوحيد ، فأن الحركات الثلاث اكدت على أهمية التوحيد والعودة الى الشهادة ، وتخليص الاسلام من البدع والعادات الضارة. وفيما يتعلق بالاجتهاد . فقدرات هذه الحركات ضرورة فتح باب الأجتهاد والتماس الحلول لمختلف قضايا المجتمع من المصادر الأصلية وفي مقدمتها القرآن الكريم والحديث النبوي وأجماع المسلمين على حكم معين بحيث لا يتعارض مع نصوص المصدرين الأساسيين للشريعة وبصدد الجهاد ، فقد دعت هذه الحركات الى العمل على تخليص الوطن العربي من النير الأجنبي مهما كان نوعه وشكله .

ومع أن تلك الحركات ، قد حررت الفكر العربي والأسلامي من السلبية والأنعزال والجبرية، لكنها عجزت ، بسبب افتقادها الى المنهج العلمي والمنظور الحضاري عن فهم واستيعاب تناقضات المجتمع العربي وشبكة العلاقات التي نوحد تلك التناقضات والأهداف في هدف جامع شامل ، ذلك هو هدف الأنبعاث القومي .

لقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها في أواخر القرن التاسع عشر على تدفق رؤوس الأموال الأجنبية نحو الولايات العربية وأتجاه التجار الأوربيين إلى جعل هذه الولايات كلها منتجة للمواد الاولية والغذائية وسوقاً العربي في لتصريف بضائعهم المصنوعة ومجالاً لأستثمار أموالهم ، في أقامة المشروعات أو تقديم القروض محاولين ربط اقتصادها بالسوق العالمية : وتحت تأثير ازدياد الطلب على المنتوجات الزراعية والحيوانية في الوطن العربي ، وضغط طبقة الملاكين الجدد أتجه. الاقتصاد في معظم الولايات العربية من اقتصاد طبيعي يسد الحاجة المحلية الى اقتصاد التسويق القائم على الربح . وقد تقاوتت الولايات العربية في حجم التطور الذي حصل في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، وكما سبق ان قدمنا فقد أسهمت البنوك في تسهيل عملية التعامل العوامل جغرافية المصرفي، ومعظم المصارف التي تأسست في الوطن العربي ،

كانت برؤوس أموال أجنبية. وأصبح للتجار العرب فعاليات مهمة في مجال الأستيراد والتصدير ، وكان لتلك النشاطات أثر كبير في نشوء فيات برجوازية تجارية جديدة ، وقد صار لهذه الفئات وزن مهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكان لهذه الفئات كذلك صلة قوية بالأسر الأقطاعية المحلية . وبالرغم من المواقع الاقتصادية التي احرزتها هذه الفئات . الا انها لم تستطع ان تتحول إلى قوة مستقلة في البناء الاجتماعي . زيادة على ذلك ان شرائح عديدة من هذه الفئات أمثال صغار التجار وأصحاب الحرف وغيرهم كانت تلاقي الكثير من اضطهاد رأس المال الأجنبي والبرجوازية الكبيرة ، الا أنها بحكم واقعها لم تستطع التحرك بأتجاه من شأنه فرض رياح التغيير على مجتمع المدينة. وربما كان المثقفون (الأنتلجنسيا Intelgentisia). وهم القطاع الديناميكي المتحرك داخل البرجوازية ، الوحيدين الذين بدأوا يتحركون بمثل ذلك الأتجاه. والمثقفون أساساً هم من ابناء الأسر الثرية او الدينية ومن البيوتات التجارية المعروفة آنذاك

كان لحركة التنظيمات العثمانية وما أحدثته من تغييرات في واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية أثر كبير في تطوير المفاهيم والأفكار السائدة انذاك فقد أخذ الناس يفكرون بأسلوب جديد ، وينظرون الى الحياة نظرة أكثر واقعية من السابق . وأنتشرت بين المعلمين والطلاب والموظفين وضباط الجيش والكتاب والتجار أفكار جديدة تتعلق بالمجتمع وكيفية تنظيمه ، لاسيما فكرة المجتمع على أساس الولاء القومي والوحدة القومية وينظم تحت لوائها العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وطوائفهم . ومن الطبيعي أن هذه القفزة حدثت بعد جمود أستمر قروناً عديدة . بفعل التطور الاقتصادي الاجتماعي عام في وساهم في صقلها الأحتكاك بالفكر الأوربي ومكتسبات الحضارة العلمية والتكنولوجية. ولم يجر ذلك ضمن الوطن العربي كله على مستوى واحد . بل تأثر بعوامل كثيرة منها عامل الموقع. فسوريا مثلاً كانت أقدم عهدا بالتغيير وأقوى تنظيما وأكثر أنصارا بالقياس الى الأقطار العربية الأخرى. ويمكن ان نرجع الأسباب الممهدة لنمو الوعي القومي العربي في سورية الى تأثير العوامل الأيجابية لعهد محمد علي باشا في بلاد الشام وفي مقدمتها التحسن في الحياة الاقتصادية والاجتماعية . والأهتمام بالتعليم وما صحبه من تأكيد على أهمية بناء الدولة العربية القوية الموحدة . والى الجهود الثقافية والتعليمية لبعض الأرساليات التبشيرية . تلك الجهود التي تمخضت عن تسرب بعض نواحي الثقافة الغربية . وعن حركة ثقافية ساعدت . كما أشرنا من قبل . على أحياء اللغة العربية وتعيد الف الطباعة فيها .

كما تجلى التغيير في ظهور المدارس الحديثة على النمط الأوربي . وانحسار اب دور المؤسسات التعليمية الدينية التقليدية وفقدانها اهميتها وتأثيرها في المجتمع ال وقد ظهر التغيير كذلك في الادب العربي . الذي بدأ منذ ذلك الوقت يبحث عن اشكال جديدة متميزة عن المفاهيم العثمانية التقليدية التي

كانت تسود العصر مثل الاستناد إلى قدسية الخلافة العثمانية وسيادة الرابطة الدينية.. وقد ربطت كثير من ١٥ القصائد التي نظمت في أقطار عربية عديدة خلال هذه الفترة بين تأخر الامة العربية --وسوء الادارة العثمانية . ولاقت بعض القصائد رواجاً كبيراً بين المثقفين لما تضمنته من نزعة عربية واضحة وتبرم ونفور من الحكم العثماني

ومما يلحظ ان الحركة العربية القومية . كغيرها من الحركات القومية في العالم. قد تدرجت من اتجاهات ثقافية الى اخرى سياسية وتطورت من تطلعات اقليمية محدودة ضمن الاطار العثماني الى افاق اوسع . ولما كان لكل حركة قومية ان تضمن لنفسها واقعاً تعمل من خلاله ، فقد سبقت حركة الوعي القومي نهضة فكرية بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر. وقد اثمرت تلك النهضة الفكرية واخذ صداها يترك اشارة على الأوضاع السياسية. وكانت هذه النهضة متمثلة باتجاهات فكرية ذات . مضامين سياسية واجتماعية ابرزها الاتجاه الديني - الاصلاحي الذي يمثله جمال الدين الافغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) ومحمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٢٥) . ويدعو هذا الاتجاه الى بعث نهضة اسلامية على غرار النهضة " التي شهدتها أوربا خلال حركة الاصلاح الديني بقيادة مارتن لوثر . والاتجاه الديني) القومي الذي يدعو الى الرابطة الاسلامية والخلافة العربية وابرز من يمثله عبد الرحمن الكواكبي ١٨٤٨ - ١٩٠٢ والاتجاه القومي - التاريخي الذي يؤكد على اهمية استنهاض همم العرب عن طريق التذكير بماضيهم الحضاري الزاهر .

وقد انعكست ملامح هذا الاتجاه في كتابات الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٨١) ويطوس -البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) اللذين عملا على احياء وعي العرب لتاريخهم والاتجاه الاجتماعي - التقدمي الذي يولي المسألة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي اهمية كبيرة وقد تمثل في كتابات رواد فكرة التقدم في الوطن العربي امثال شبلي شميل (١٨٥٠ - ١٩١٧) وقاسم امين (١٨٦٥ - ١٩٠٨ (واديب اسحق (١٨٥٦ - ١٨٨٤) . والاتجاه القومي الصرف وتمثل في كتابات عدد من المفكرين القوميين امثال نجيب عازوري (١٨٨١ - ١٩١٩) صاحب كتاب (يقظة الامة العربية) الذي صدر بباريس سنة ١٩٠٥ . وقد دعا هذا المفكر في كتاباته الى استقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية